جامعة النهريين
كلية العلوم السياسية
قسم السياسات الدولية
abdallah.mohamed@nahrainuniv.edu.iq

الجامعة المستنصرية
كلية طب الاسنان
قسم العلوم الاساسية
Nooruldin.h@uomustansiriyah.edu.iq

استراتيجية روسيا في القارة الإفريقية الأهداف، المحددات، البعد المستقبلي

عبد الله محمد قاسم
Abdullah Muhammad Qasim

نور الدين حساني شرقي
Nooruldeen hasani sharqi

المستخلص:

تتميز القارة الإفريقية بموقع جغرافي مهم ومؤثر جيوبوليتيكياً على حركة السياسة الدولية والإقليمية وممرات الملاحة الدولية، فضلاً عن امتلاكها كميات كبيرة من الموارد والثروات الطبيعية كالنفط والغاز والمعادن، وقد كانت هذه الميزات التي تتمتع بها القارة الدافع الرئيسي للقوى الاستعمارية للانقضاض على هذا الكم الهائل من الثروات في الماضي، أما اليوم وفي ظل تصاعد التنافس الدولي، الذي أخذ طابع الصراع من أجل التغلغل داخل دول القارة وبسط النفوذ فيها، لا سيما بعد اندلاع الحرب الروسية - الأوكرانية، برزت قارة إفريقيا كساحة صراع نفوذ بين الدول الكبرى، بوصفها تمتلك بعداً جيوسياسياً مهماً في مساعي تلك الدول نحو تحقيق أهدافها المرتبطة بالهيمنة، ليس فقط على الموارد الاقتصادية، بل على القرارات السياسية الدولية. وفي ظل هذا التنافس الدولي المحموم سعت روسيا إلى تنفيذ رؤية استراتيجية تعتبر إفريقيا ركيزة أساسية للوصول لغايتها الأساسية في إقامة عالم متعدد الأقطاب، وفي إطار تنفيذ هذه الاستراتيجية سعت موسكو إلى تحقيق جملة من الأهداف السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تزيد من نفوذها ودورها في القارة السمراء.

الكلمات المفتاحية: الاستراتيجية الروسية - إفريقيا - الدور الروسي في إفريقيا

Summary

The African continent is characterized by an important geographical location that has a geopolitical influence on the movement of international and regional politics and international shipping lanes, in addition to its possession of large quantities of natural resources and wealth such as oil, gas and minerals. These features that the continent enjoys were the motivation for the colonial powers to pounce on this huge amount of wealth in the past. Today, in light of the escalation of international competition, which has taken on the character of a struggle to penetrate the countries of the continent and extend influence there, especially after the outbreak of the Russian-Ukrainian war, the continent of Africa has emerged as an arena of influence struggle between the major powers, as it possesses an important geopolitical dimension in their

endeavors. Countries towards achieving their goals related to domination, not only over economic resources, but also over international political decisions, and in light of this intense international competition, Russia sought to implement a strategic vision that considers Africa an essential pillar for reaching its basic goal, which is the establishment of a multipolar world, and within the framework of implementing this strategy, it sought Moscow aims to achieve a number of political, economic and military goals that increase its influence .and role in the African continent

Keywords: Russian strategy _ Africa - the Russian role in Africa

المقدمة

بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي عام 1991، انسحبت روسيا من القارة الإفريقية على الرغم من العلاقات القوية التي نسجتها لعقود من الزمن مع الكثير من دول القارة، لكنها ما لبثت أن استأنفت دورها تدريجياً مع بداية القرن الحادي والعشرين ووصول الرئيس بوتين للحكم، حيث شرعت روسيا في استعادة نفوذها السياسي والاقتصادي في هذه القارة وفق رؤية استراتيجية محددة الأهداف، وبما يتوافق مع مصالحها الإقليمية والدولية لإدراكها الشديد بأن إفريقيا تمثل خزاناً عالمياً لموارد الطاقة وممرات استراتيجي للمبادلات التجارية، لذلك فقد عززت من تواجدها الجيوسياسي في إفريقيا لا سيما عقب العقوبات التي فرضت عليها جراء ضمها لشبه جزيرة القرم عام 2014، حيث قدمت نفسها للأفارقة كقوة دولية صديقة، ليس لها إرث استعماري، وتستطيع توفير بدائل عسكرية واقتصادية وسياسية. تزامن ذلك مع انسحاب تدريجي للقوى الغربية من إفريقيا وتنامي المشاعر المناهضة للتواجد الغربي، ومع بدء الحرب الروسية الأوكرانية، تجنبت الدول الأفريقية الانخراط في معاقبة روسيا، بل ورفضت الكثير منها إخراج روسيا من مجلس حقوق الإنسان الأممي، لتظهر القارة كأحد ساحات روسيا الرئيسية لفك عزلتها الدولية بما يؤكد على أهمية إفريقيا الجيوسياسية بالنسبة لروسيا. في ضوء ذلك يتناول هذا البحث استراتيجية روسيا في القارة الإفريقية و آفاقها المستقبلية.

إشكالية البحث :

ينطلق البحث من إشكالية مفادها تغيير الرؤية الاستراتيجية الروسية تغيراً كبيراً في عهد الرئيس فلاديمير بوتين الذي وضع استراتيجية نشطة على الساحة الإقليمية والدولية تهدف لإعادة الدور والمكانة لروسيا بين القوى الكبرى، وفي إطار هذه الاستراتيجية النشطة جاء التوجه الروسي نحو القارة الإفريقية التي أصبحت جاذبة لجميع القوى الكبرى والصاعدة ، انطلاقاً من ذلك فإن إشكالية هذا البحث تكمن في السؤال المركزي البحثي الآتي:

ماهي محددات وأهداف الاستراتيجية الروسية في القارة الإفريقية؟

وهذا يقود الى طرح سؤالين:

- 1 - ما دور الاستراتيجية الروسية في القارة الإفريقية ؟
- 2 - ما مستقبل استراتيجية روسيا ونفوذها في إفريقيا؟

فرضية البحث :

اعتمد البحث على فرضية مفادها: من المرجح زيادة النفوذ الروسي في القارة الإفريقية مستقبلاً.

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يوضح محددات وأهداف الاستراتيجية الروسية في القارة الإفريقية التي تشهد

تنافساً محتدماً بين القوى الكبرى على بسط النفوذ والسيطرة، حيث أن تتبع الاستراتيجية الروسية يساعد في معرفة طبيعة ونوع المصالح الروسية في القارة الإفريقية، وهذه المعرفة سوف تساهم بدورها في فهم وتفسير مجريات الأحداث في الساحة الدولية والنظام الدولي الذي شهد خلال السنوات الماضية متغيرات كبرى يمكن أن تؤثر على بنيته وشكله الراهن.

منهج البحث :

اعتمد البحث منهج دراسة الحالة والمنهج الوصف التحليلي .

هيكلية البحث :

من أجل الوقوف على أبرز النقاط التحليل والتقصي لمفاصل هذا البحث، ومحاولة التحقق من الفرضية المطروحة تم تقسيم البحث على:-

المبحث الأول: الأهمية الجيوسياسية والاقتصادية للقارة الافريقية

المطلب الأول : الأهمية الجيوسياسية للقارة الافريقية :

تنطلق الأهمية الجيوسياسية لإفريقيا من خلال موقعها الاستراتيجي الذي يعتبر ممراً مهماً في طرق المواصلات العالمية، فهي تطل على البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، والمحيط الهندي، ومضيق جبل طارق، ومضيق باب المندب، وطريق رأس الرجاء الصالح، وقناة السويس، وتمتد من المحيط الأطلسي غرباً، إلى البحر الأحمر شرقاً، ومن المحيط الهندي والأطلسي جنوباً إلى البحر المتوسط شمالاً(1).

تعدّ القارة الإفريقية همزة الوصل بين قارات العالم المختلفة، خصوصاً الجزء الشمالي والشمالي الشرقي للقارة، كما أنها تقع ضمن المجال الحيوي لمنطقة الخليج العربي بما لها من أهمية إقليمية في المجال السياسي والاقتصادي والأمني، فتلعب دوراً محورياً في الأمن الإقليمي، وفي الحراك السياسي والاقتصادي والثقافي للدول المحورية في هذه القارات.(2)

وتعدّ إفريقيا ثاني أكبر قارة في العالم من حيث المساحة والسكان، إذ تبلغ مساحتها 6% من سطح الكرة الأرضية أي 30.2 مليون كيلومتر مربع، وتمثل نحو 20,4% من إجمالي مساحة الأراضي الزراعية في العالم، ويعيش فيها نحو 16.8% من سكان العالم، وهي قارة شابة، حيث إن 50% من السكان الإفريقيين يبلغون 19 سنة أو أقل، مما يجعلها قادرة على النهوض بوتيرة أسرع مقارنةً بأيّ قارةٍ أخرى. (3)

نظراً لسيطرة الدول الإفريقية على الممرات الملاحية، التي تربط قارات العالم، كان لها أهمية بالغة في تأمين صادرات دول الخليج التي تعتمد بنسبة 90% على عائدات النفط إلى العالم، هذا بالإضافة إلى السلع والخدمات، إلى جانب الأهمية في مواجهة أيّ تحركٍ عسكري في المنطقة، مما جعل القارة الإفريقية ساحة للتنافس والصراع الدائم بين القوى الدولية لأسباب مختلفة، فبعض الدول تحاول المحافظة على مكتسباتها في القارة، وكيانات دولية أخرى تحاول إعادة نفوذها بالتموضع على خارطة موازين القوى.(4)

كما تصاعدت مكانة إفريقيا في السباق الدولي خلال السنوات الماضية مع تزايد التوترات السياسية العالمية والمنافسة الاقتصادية الشرسة، حيث تحولت القارة إلى مركز جذب مع انتقال مركز التنافس بين القوى الدولية إليها؛ فهي المنطقة الواعدة والأسرع نمواً في العالم. ويُعد الاستثمار في إفريقيا اتجاهًا شائعاً ويوفر مزايا واضحة، حيث تسعى القوى العالمية الرائدة إلى تعاون متنوع عبر القارة السمراء، فهي موطن لأكثر من 1.3 مليار نسمة، كما أنها تزخر بالموارد

(5) الطبيعية.

بالإضافة إلى ذلك تضم القارة الإفريقية 55 دولة كلها أعضاء في الأمم المتحدة، وهو ما يعني أنّ القارة الإفريقية تمتلك قوةً تصويتيةً كبيرةً في المنظمات الدولية وهو ما يزيد من أهميتها الجيوسياسية. (6)

المطلب الثاني: الأهمية الاقتصادية للقارة الإفريقية :

تعدّ القارة الإفريقية المخزن الاستراتيجيّ بالغ الأهمية للطاقة بالنسبة لكافة القوى الدولية بالإضافة إلى كونها سوقاً استهلاكيةً واعدةً ومحفزةً للسوق العالمي، فهي تحتوي على أكثر من 124 مليار برميل من احتياطي النفط، وهو ما يمثل حوالي 12% من إجمالي الاحتياطي العالمي للنفط بالإضافة إلى ما يزيد عن 100 مليار برميل على سواحل القارة في حاجة لاكتشافها واستخراجها، كما يقدر احتياطي الغاز الطبيعي في القارة حوالي 500 تريليون متر مكعب. (7)

تتركز الثروة النفطية بالقارة في دول نيجيريا والجزائر ومصر وأنجولا وليبيا والسودان وغينيا الاستوائية والكونغو والجابون وجنوب إفريقيا، وما نسبته 23% من إجمالي إنتاج القارة من البترول يتم تصديره للولايات المتحدة الأمريكية، وحوالي 14% للصين. 89% لكل من إيطاليا والهند، بينما تحظى دول الاتحاد الأوروبي بأكثر من 25% من إجمالي الإنتاج. (8)

كما تعدّ إفريقيا أغنى تجمع للموارد الطبيعية مثل اليورانيوم والنحاس والماس واليوكسيت والليثيوم والذهب وتشير التقديرات إلى أنّ 30% من الموارد المعدنية المستخرجة من الأرض موجودة في القارة الإفريقية. كما تمتلك إفريقيا أكبر احتياطيات للمعادن الثمينة والنادرة في العالم والتي تكمن في صلب الصناعات التقنية المتقدمة. كما يوجد في إفريقيا كميات كبيرة من المعادن كالذهب المتواجد في جنوب إفريقيا، وزيمبابوي وشرق السودان، والنحاس في زامبيا والسودان والكونغو، كما يتوفّر لديها أيضاً مخزون هام من اليورانيوم الموجه للصناعة النووية بجنوب إفريقيا والنيجر وناميبيا، وتملك إفريقيا وحدها نسبة 18 بالمائة من إجمالي الإنتاج العالمي لهذه المادة ومخزون احتياطي يبلغ ثلث إجمالي احتياطيات العالم. كما تعتبر إفريقيا من أكبر المنتجين للألماس العالمي بما يناهز 40 بالمائة من إجمالي الماس في العالم ويتركز في كل من دول أنجولا وبتسوآنا والكونغو الديمقراطية وجنوب إفريقيا وناميبيا. (9)

وتمتلك القارة من الثروات المعدنية حسب الإحصائيات العالمية ما يأتي:

1. 97% من احتياطي العالم من معدن الكروم.
2. 64% من احتياطي العالم من معدن الذهب.
3. 50% من احتياطي العالم من معدن المنجنيز.
4. 14% من احتياطي العالم من معدن النحاس.
5. 20% من احتياطي العالم من معدن اليورانيوم.
6. 31% من احتياطي العالم من معدن الفوسفات.
7. 86% من احتياطي العالم من معدن الكوبالت.

فضلاً عن احتياطيات هائلة من الزنك والنيكل والرصاص والماس. (10)

كذلك تمتلك القارة الإفريقية مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية الخصبة والغنية بالعناصر التي تجعلها قادرة على القيام بدور سلة غذاء العالم، وثروة حيوانية هائلة تغطي احتياجات دول القارة وتمتد لتصدير الفائض لدول القارات الأخرى، كما تحتل قارة إفريقيا المرتبة الأولى في كثير من الصادرات الزراعية، مثل الكاكاو والسمسم والقطن وزيت النخيل وال فول السوداني هذا بالإضافة للكثير من الحاصلات الزراعية الأخرى، ولعل امتلاك إفريقيا لمخزون هائل من الإمكانات الطبيعية، وهو السبب الرئيسي الذي جعلها مطمعا للاستعمار وخضوعها لأزمان طويلة تحت الوصاية الأجنبية حتى حصلت على الاستقلال منتصف وأواخر الخمسينيات وحتى عام 1975، مع تغييرات مفاجئة وجذرية في أنظمة القارة، حيث انتقلت من الحكومات الاستعمارية إلى دول مستقلة (11).

المبحث الثاني : اهداف الاستراتيجية الروسية في إفريقيا ومحدداتها :

المطلب الأول : أهداف الاستراتيجية الروسية في إفريقيا :

تسعى روسيا إلى توطيد دعائم وجودها في مختلف أقاليم القارة الإفريقية، وذلك بهدف تحقيق جملة من الأهداف التي تنوعت بين أهداف سياسية وأهداف اقتصادية وأهداف عسكرية. وفيما يلي بيان لأهم الأهداف الروسية في إفريقيا:

أولاً : الأهداف السياسية:

1 - تحقيق مصالحها الاستراتيجية :

تُعتبر إفريقيا وسيلة لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الكبرى لروسيا. إذ يمكن الربط بين عودة الاهتمام الروسي القوي بإفريقيا، وبين العزلة الروسية التي كانت نتيجة لتحالف معسكر الغرب ضدها. بعد ضمّ شبه جزيرة القرم إليها عام 2014م ، والحرب في أوكرانيا، وهو ما دفع موسكو إلى محاولة الحصول على حلفاء أفرقة بهدف دعم موقفها في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة وتعزيز مكانتها على الساحة الدولية.(12) وفي سبيل ذلك تسعى روسيا إلى التواجد في البحر الأحمر والمحيط الهندي وبحر العرب لتقوية وجودها في إفريقيا، وخلق نفوذ لها في المياه الدافئة في الشرق الأوسط لضمان عدم محاصرتها بواسطة التحالف الغربي الإمبريالي في مناطق نفوذها المعروف في سوريا، وإيران.

بهذا التكتيك، تحاول روسيا أن تؤمّن موقفها في منطقة بحرقزوين للاستحواذ على نفط بحرقزوين، وبناء منصاتٍ سياسية وعسكرية و إيديولوجية في المنطقة، فالفعل والتكتيك الروسي في إفريقيا يدعم خطة الخداع الاستراتيجي الروسي التي تهدف لإلهاء التحالفات الغربية، ولفت نظرها بعيداً عن أهداف روسيا في آسيا الوسطى.(13)

2 - كسب الصوت الإفريقي في المؤسسات الدولية:

تشكّل البلدان الإفريقية نحوثلث أعضاء المجتمع العالمي، وهي ممثلة في الهياكل المتعددة الأطراف، وتتمتع بالخبرة في العمل السياسي الموحد، من خلال الاتحاد الإفريقي وعدد من روابط التكامل دون الإقليمية. وبدون مشاركة البلدان الإفريقية، فإن الأداء المستقر لنظام العلاقات الدولية، وتطوير العلاقات الاقتصادية العالمية، وتوفير نظام مستقر للأمن الدولي يكاد يكون مستحيلًا. لذلك تحتاج روسيا، للترويج لنظريتها حول "التعددية القطبية" للصوت الإفريقي المساند لها في المؤسسات الدولية.(14)

وفي هذا الإطار، تعمل روسيا على تنمية الحلفاء داخل القارة في تحديها للنظام الأمني الحالي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من الدول الأوروبية. وذلك لإعادة بناء صورتها كقوة عالمية وتقليل النفوذ الغربي في القارة الإفريقية. ولقد أثمرت هذه السياسة بالفعل، حيث أُنعت روسيا في عام 2014 أكثر من نصف الحكومات الإفريقية بمعارضة أو الامتناع عن التصويت على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي يدين ضم شبه جزيرة القرم. ووقعت روسيا اتفاقيات مع هيئات إقليمية مثل مجموعة التنمية للجنوب الإفريقي (سادك)، وعززت علاقاتها متعددة الأطراف مع القادة الأفارقة من خلال تنظيم قممٍ روسيةٍ إفريقيةٍ متعددة.(15)

3 - تحديث الحدود السياسية في إفريقيا:

تعتقد عدّة جهاتٍ سياسيةٍ وبحثيةٍ مؤثرةٍ في روسيا، أنّ مشكلات إفريقيا، نابعة من التقسيم "الجائر" للحدود، التي تمّ رسمها وفق مصالح وتوافقات القوى الغربية، لتقاسم النفوذ والموارد فيما بينها، على أساس أنها باقية في القارة ولن تذهب، بينما كان من المفترض أن يُعاد النظر فيها بعد نهاية الظاهرة الاستعمارية، لكن القادة الأفارقة وقعوا في فخّها، وهو ما أدى لخلق دول فاشلة، لا أمل في إعادة إصلاحها بشكلٍ سلمي، دون إعادة تفكيك هذه المنظومة، هذا الواقع في إفريقيا يوفر فرصة مثالية لروسيا، لتحويل نظرياتها لواقع، حول عدم "صلاحية" النظام العالمي القائم، ودورها في إعادة تغييره، عبر تغيير كافة قواعده، لصنع نظام عالمي جديد.(16)

4 - الضغط على القوى الغربية:

تعتقد روسيا أنّ بإمكانها تشكيل المزيد من الضغوط على الغرب، والدول الأوروبية خاصةً، عبر تهديد نفوذها التقليدي في إفريقيا، وإشغالها في معاركٍ جانبية، وزيادة الأعباء العسكرية والاقتصادية عليها نتيجة تدخلاتها، وازدياد تدفق الهجرة غير الشرعية، وهو ما يُضعف موقف هذه الدول في دعمها لأوكرانيا، ويمنح موسكو ورقة ضغط يمكن أن تقيض بها على ملفات أخرى تهمها في جوارها القريب ما بعد السوفييتي. (17)

كما تحاول روسيا زعزعة التحالفات الموجودة (حلف شمال الأطلسي، والتحالفات العربية الموجودة المتصلة بالتحالفات الغربية) لإضعافها وتشتيت جهودها ليتدسّخ لها الولوج إلى دول المنطقة دون الدخول في أعمال عسكرية عنيفة أو منافسات علنية قد تكلفها الكثير. (18)

ثانياً : الأهداف الاقتصادية للقارة الإفريقية :

تسعى الاستراتيجية الروسية في إفريقيا إلى تحقيق جملة من الأهداف الاقتصادية وهي كالآتي :

1 - الحصول على المواد الخام:

يعتبر الحصول على المواد الخام والموارد الطبيعية أحد الأهداف الرئيسية للاستراتيجية الروسية تجاه إفريقيا، شأنها في ذلك شأن العديد من القوى الكبرى والقوى الصاعدة في القارة. وتحقيقاً لهذا الغرض، تقوم العديد من الشركات الروسية بالعديد من المشروعات في القارة. وتعمل الشركات الروسية على توسيع نطاق أنشطتها في تعدين الموارد مثل الكولتان والكوبالت والذهب والماس. وتعتبر منطقة الساحل الأفريقي ذات أهمية كبيرة بالنسبة لروسيا، لا سيما من الناحية الاقتصادية، حيث تتميز دول الساحل بكونها من الدول الغنية بالموارد مثل النفط والغاز في كل من الكاميرون وتشاد ونيجيريا، فضلاً عن مناجم الذهب الموجودة في بوركينا فاسو ومالي، وإن خضعت الكثير منها لسيطرة الجماعات الإرهابية في الأخيرة، ليس هذا فحسب، بل إن النيجر تعتبر من الدول الغنية باليورانيوم، ولذا تتطلع شركة روساتوم للطاقة النووية المدنية لدخول سوق اليورانيوم في النيجر. (19)

2 - زيادة حجم التعاون الاقتصادي:

تسعى موسكو إلى عقد شراكاتٍ طويلة الأمد مع الدول الإفريقية في مجالات الاقتصاد والزراعة والطاقة، حيث تحاول الالتفاف على العقوبات الاقتصادية الغربية غير المسبوق عليها منذ فبراير 2022، وفي الوقت نفسه تعزيز تعاونها الاقتصادي مع إفريقيا. ففي المؤتمر البرلماني الدولي الثاني "روسيا - إفريقيا" الذي عُقد في موسكو في 20 مارس 2023، قال الرئيس بوتين إنّ بلاده ألغت ديونَ الدول الإفريقية التي تزيد قيمتها عن 20 مليار دولار، موضحاً أن حجم التبادل التجاري بين روسيا والدول الإفريقية ينمو سنوياً، ووصل إلى قرابة 18 مليار دولار عام 2022. وخلال قمة سان بطرسبرغ، حاول بوتين التخفيف من التأثيرات الاقتصادية لقرار تعليق "صادرات الحبوب"، بعد انسحاب روسيا من اتفاق تصدير الحبوب عبر البحر الأسود، في 8 يوليو 2023، موضحاً أن موسكو ستعمل على تصدير 50 ألف طن من الحبوب لعدّة دول في إفريقيا، بل وستصدره إلى 6 دول مجاناً؛ وهي بوركينا فاسو، وزيمبابوي، ومالي، والصومال، وإفريقيا الوسطى، وإريتريا. (20)

2 - فرص استثمار روسيا في إفريقيا :

تحظى إفريقيا باهتمام كبير بالنسبة للمستثمرين الأجانب لأسباب تتعلق بالربحية العالية للاستثمارات، وفيما يتعلق بسياسات الدول الإفريقية نفسها، التي تسعى إلى جذب رأس المال بنشاط، وقد ازدادت أهمية إفريقيا لروسيا، بعدما تراجع مسار العلاقات مع الغرب، منذ الحرب في أوكرانيا. (21)

ثالثاً : الأهداف الأمنية - العسكرية للقارة الإفريقية :

1 - امتلاك قواعد عسكرية دائمة في إفريقيا:

تسعى روسيا لامتلاك قواعد عسكرية في القارة الإفريقية أسوةً ببقية القوى العظمى الأخرى وعلى رأسها حلف الناتو، إذ على الرغم من الاختلافات الكبيرة بين الأجزاء الشمالية وأجزاء جنوب الصحراء الكبرى من القارة، فإن القاسم المشترك بينهما، أنهما تقليدياً مناطق نفوذ عسكري لحلف شمال الأطلسي. ويتمتع الحلف بالعديد من المعامل التي تتيح له السيطرة على الاتصالات البحرية في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، وكذلك في جنوب المحيط الأطلسي. بالإضافة إلى ذلك، تحتفظ عدد من الدول الغربية بمواقع عسكرية سياسية في المنطقة، سواء من خلال القواعد والوحدات العسكرية، أو على أساس التعاون العسكري الفني. وبحسب المُعلن، فإن المهمة الرئيسية للوجود الغربي هي حماية الاتصالات الحيوية، والحفاظ على السلام، ومنع الصراعات العرقية، ومكافحة تهديد الإرهاب والقرصنة، ومن بين الدول غير الأعضاء في حلف شمال الأطلسي، والتي لها أيضاً قواعد في إفريقيا الهند، واليابان، ومنذ عام 2016، بدأت الصين في بناء أول قاعدة عسكرية لها. بينما لا توجد لروسيا حالياً أي قواعد عسكرية في إفريقيا، ودون امتلاك هذه القواعد، لا يمكنها الادعاء بأنها "قوى عظمى". (22)

انطلاقاً من ذلك، كان أحد أهم الأهداف الروسية من التوغل في إفريقيا هو امتلاك قاعدة عسكرية دائمة، تكون مكافئة لقواعد فرنسا والولايات المتحدة والصين واليابان وإيطاليا في جيبوتي المطلة على باب المندب. وقد بدأت المساعي الروسية لإنشاء قاعدة في جيبوتي مبكراً عام 2013، ولكن الولايات المتحدة ضغطت على جيبوتي للرفض، فتقدم الروس بطلب لإنشاء القاعدة في 6 دول أفريقية أخرى، هي: السودان، مصر، إفريقيا الوسطى، أريتريا، مدغشقر، موزمبيق، وكانت الأولوية للسودان وأريتريا لموقعهما الاستراتيجي على باب المندب والبحر الأحمر. وفي عام 2017؛ وقعت روسيا بالفعل اتفاقية مع السودان لإنشاء قاعدة استراتيجية في بورتسودان على البحر الأحمر كنقطة إمداد لجيوشية للقوات الروسية، واتخذت خطوات متقدمة عام 2018، ولكن سقوط البشير عام 2019 ودخول السودان في اضطراب سياسي وأمني، كما أن سعي قادة الجيش لتطبيع العلاقات مع واشنطن والغرب حال دون التنفيذ ذلك. وفي ظلّ تعثر المشروع في السودان؛ من المحتمل أن تبحث روسيا بشكلٍ جادٍ إنشاء القاعدة في إريتريا التي تتمتع بموقعٍ استراتيجيٍّ مائلٍ، وفي نفس الوقت؛ تدرس روسيا بدائلٍ أخرى غير بحرية حيث كشف وزير دفاع إفريقيا الوسطى، في مايو/أيار 2023، عن محادثات تجريها بلاده مع روسيا بشأن إنشاء قاعدة عسكرية لدعم جيش بلاده والمساعدة في حل المشكلات الأمنية وتنمية البلاد. (23)

2 - تعزيز التعاون العسكري والأمني بين روسيا والقارة الإفريقية:

تسعى روسيا إلى تعزيز نفوذها في إفريقيا من خلال تعزيز التعاون الأمني والعسكري مع دولها، لذلك نسجت خلال السنوات الماضية، علاقات شراكة وتعاون أمني موثوقة مع بعض الدول الإفريقية، على غرار جمهورية إفريقيا الوسطى، فضلاً عن الاتهامات لها بالتنسيق مع بعض الحركات الانقلابية؛ كما حدث في مالي، ثم في بوركينا فاسو، ومن ثم في النيجر. وخلال قمة سان بطرسبرغ، أشار الرئيس فلاديمير بوتين إلى المساعدات العسكرية الكبرى التي تقدمها بلاده لدول إفريقيا، قائلاً إن عدداً من هذه الدول يشارك في تدريبات عسكرية مع القوات الروسية، و"نزود نحو 40 دولةً إفريقيةً بالأسلحة لجيوشها في إطار اتفاقياتٍ ثنائية". (24)

3 - تجارة روسيا للأسلحة في إفريقيا :

تُعدُّ إفريقيا سوقاً تقليديةً للأسلحة الروسية، وخلال العامين الماضيين 2022-2023 سعت موسكو إلى زيادة مبيعاتها من الأسلحة للدول الإفريقية، سواءً لمساعدتها في مواجهة مخاطر الإرهاب، أو تعظيم نفوذها ووجودها العسكري في القارة السمراء في إطار صراع النفوذ مع القوى الكبرى الأخرى، ولاسيما الولايات المتحدة وفرنسا. (25)

حيث صدرت روسيا إلى إفريقيا نحو 17% من صادراتها من الأسلحة خلال الفترة منذ عام 2015 حتى عام 2019، كما تستحوذ روسيا على حوالي 37.6% من سوق السلاح الأفريقي، وتعمل على زيادة مبيعاتها العسكرية لا سيما لدول الساحل الأفريقي بشكلٍ أساسي وخلال السنوات الأخيرة، أصبحت روسيا أكبر مورد للأسلحة لأفريقيا، تليها الصين (17%)، والولايات المتحدة (9.6%)، وفرنسا 6.9% ومنذ عام 2015، وقعت روسيا أكثر من 20 اتفاقية ثنائية للتعاون

العسكري مع الدول الأفريقية، وفي هذا الإطار أبرمت شركة "روس أوبورون إكسبورت" الروسية المملوكة للدولة صفقات بيع أسلحة مع العديد من دول القارة مثل بوركينا فاسو ومالي ونيجيريا، وجدير بالذكر أن حوالي 90% من الأسلحة والمعدات العسكرية التي يستخدمها الجيش التشادي تأتي من روسيا. وفي ذات السياق، فقد وقعت باماكو اتفاقاً للتعاون العسكري مع روسيا في يونيو 2019. (26)

وجدير بالذكر أن الأسلحة الروسية تحظى بدرجة عالية من القبول لدى القادة الأفارقة، فإلى جانب كونها رخيصة نسبياً، فإن الصفقات مع روسيا لا تنبني على المشروطيات ذات الصلة بحقوق الإنسان كما هو الحال بالنسبة لدول أخرى مثل فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. ولعل خير مثال على ذلك نيجيريا، فبينما كانت الولايات المتحدة تماطل في بيع الأسلحة لنيجيريا لمساعدتها في مواجهة الهجمات الإرهابية لجماعة بوكو حرام خلال عام 2014، وذلك بدعاوى انتهاكات حقوق الإنسان من قبل الجنود النيجيريين، لجأت نيجيريا إلى روسيا التي مكنتها من شراء 12 مروحية هجومية. (27)

المطلب الثاني : محددات الاستراتيجية الروسية اتجاه إفريقيا؛

أولاً : نظرية الأوراسية الجديدة:

يرى "الكسندر دوغين" صاحب نظرية الأوراسية الجديدة أن استعادة روسيا الاتحادية دورها الفعلي يكمن في إعادة هيكلة مؤسساتها في الموارد الطبيعية وارتكازها على القوة الجيوبولتيكية وحفاظها على جزء مهم من ميراث ترسانتها التقليدية والاستراتيجية، وبالتالي تعزيز دورها كفاعل مؤثر في محيطها الإقليمي، وهو ما يمكنها من التوجه إلى مناطق جديدة بما يساهم في إعادة مكانتها الدولية. (28)

انطلاقاً من ذلك تنظر روسيا إلى إفريقيا من خلال النظر إلى التحولات الجارية على الساحة العالمية منذ نهاية الحرب الباردة إذ تشكل إفريقيا، بالنسبة إلى روسيا، مصدراً مهم للموارد الطبيعية النفط، والغاز الطبيعي، والمعادن والأخشاب والثروة الحيوانية، وسوقاً واسعة بل أخذت في الاتساع للأسلحة وعقود التدريب والتطوير العسكري ومنفذاً إلى المياه الدافئة، وهو أمر من شأنه أن يكن روسيا من الوصول إلى البحر الأحمر وتعزيز وجودها في البحر المتوسط، كما تشكل قناة مہمة لتعزيز علاقاتها السياسية الدولية. ودعم مواضعها في المحافل الدولية ومقاومة العقوبات التي يفرضها عليها الغرب، وشريكاً أساسياً في مكافحة الإرهاب. (29)

ثانياً : استراتيجية التنمية الروسية :

خلال السنوات القليلة الماضية، أدركت القيادة السياسية الروسية وبعض رجال الأعمال والخبراء الروس الحاجة إلى إحياء التعاون النشط مع القارة الإفريقية، وربما شكل ذلك دافعاً قوياً لمراجعة أولويات السياسة الخارجية الروسية تجاه إفريقيا. وهنا تجدر الإشارة إلى أن العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي على روسيا تعتبر بمثابة نقطة تحول في السياسة الروسية تجاه إفريقيا. وفي المرسوم الرئاسي الصادر في 7 مايو 2018 بشأن الأهداف الوطنية والأهداف الاستراتيجية لتنمية روسيا للفترة حتى عام 2024، أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مجموعة من المهام الرامية إلى تحسين القدرة التنافسية الروسية في مجموعة من القطاعات مثل الصناعات التحويلية والزراعة وقطاع الخدمات، كما أعلن اعتماده زيادة الحصص الإجمالية لصادرات السلع (الأعمال والخدمات) لتصبح على الأقل 20% من الناتج المحلي الإجمالي للدولة، وزيادة حجم الصادرات (من حيث القيمة) للسلع غير الأولية لما يصل إلى حوالي 250 مليار دولار سنوياً، فضلاً عن زيادة حجم الصادرات من الخدمات المقدمة بمبلغ 100 مليار دولار سنوياً. (30)

وتحقيقاً لهذه الأهداف الطموحة، تحتاج روسيا إلى السوق الأفريقية، خاصة بعد أن بدأت الصناعة في روسيا في الانتعاش، الأمر الذي يجعلها أكثر احتياجاً لاختبار المنتجات النهائية الروسية في الأسواق الأفريقية الأقل نمواً،

حيث يوجد طلب عليها. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الصين سبق لها أن تبنت ذات النهج في التسعينيات، حيث نجحت في الاستحواذ على السوق الاستهلاكية الأفريقية سريعة النمو. وبالمثل يمكن للشركات الروسية بالفعل دخول الأسواق الأفريقية بمنتجاتها المختلفة مثل الشاحنات والطائرات والمركبات الأخرى والآلات الزراعية والأسمدة والمنتجات الكيماوية والمنتجات الكهربائية والأدوية وتكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات. وفي الوقت نفسه، يبدي الأفارقة اهتماماً كبيراً بالأسلحة الروسية، خاصة بعد اختبارهم الناجح في مناطق الصراعات الإقليمية. وبالتالي، يمكن للأسواق الأفريقية أن تساهم بشكل كبير في زيادة الصادرات الروسية من غير الموارد. (31)

المبحث الثالث : حدود النفوذ الروسي في إفريقيا ومستقبله:

المطلب الأول : واقع النفوذ الروسي في إفريقيا:

1 - النفوذ السياسي :

توضح الخريطة تسارع وتيرة الانتشار الروسي بعد عام 2015 في القارة، حيث انتهجت موسكو سياسة مزاحمة الغرب والحضور دائماً كبديل موثوق والمدافع عن سيادة الدول الأفريقية ضد الحظر والعقوبات الدولية، حيث تستخدم روسيا عضويتها في مجلس الأمن في تعزيز علاقاتها بدول القارة التي تواجه عقوبات، فعارضت فرض عقوبات على جنوب السودان عام 2019، و أفريقيا الوسطى عام 2020، وامتنعت عن التصويت ضد أي دولة أفريقية، وهو ما عزز لدى القادة الأفارقة أن روسيا من الممكن أن تكون الحليف القوي لهم في المحافل الدولية وكذلك في صراعاتهم الداخلية. (32)

وقد وسّعت روسيا من تحركاتها في الساحة الأفريقية خلال العامين الماضيين رغبة منها في أن تلعب دوراً بارزاً في هذه القارة بشكل عام، فبالرغم من تراجع الدور الروسي في القارة الإفريقية خلال العقود الثلاث الماضية، وتحديداً منذ تفكك الاتحاد السوفيتي، إلا أن السنوات القليلة الماضية عكست جملة من التحركات الروسية على الساحة الأفريقية، الأمر الذي يعد مؤشراً واضحاً لتنامي الدور الروسي على الساحة الأفريقية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية. (33)

إذ تعمل روسيا حالياً وبشكل متسارع على بناء وتعزيز نفوذ جديد لها في إفريقيا خاصة في شرق ووسط وغرب إفريقيا، من خلال تحريك وتنشيط نفوذها القديم في إفريقيا، وذلك بتوظيف واستغلال علاقات الاتحاد السوفيتي السابق مع الدول الإفريقية؛ حيث صرّح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بأن العلاقات مع البلدان الإفريقية تعد إحدى أولويات السياسة الخارجية الروسية. (34)

وفي هذا السياق عقدت مؤتمرات قمة "روسية-إفريقية" واسعة النطاق خلال عامي 2019 و2023، بمشاركة ممثلين على أعلى مستوى من 54 و45 دولة إفريقية على التوالي. وكما ذكر المشاركون في نهاية القمة الأخيرة 2023، وفي إطار مفهوم عالم متعدد الأقطاب، فإن حصة روسيا في إفريقيا، وأهمية إفريقيا في السياسة الروسية تشهد تزايداً متسارعاً. (35)

2 - النفوذ العسكري:

وقّعت روسيا اتفاقيات تعاون عسكري مع 36 دولة أفريقية تتنوع بين توريد الأسلحة والتدريب وبناء القواعد العسكرية والاستشارات الأمنية والدفاعية ستّ اتفاقياتٍ منها وقعت عامي 2021 و 2022 مع إثيوبيا والغابون وموريتانيا ونيجيريا ومدغشقر والكاميرون؛ وعشرون خلال الفترة بين 2017 – 2021، نصفها على الأقل مع دول لم تربطها علاقات سابقة مع روسيا، وهو ما يؤكد تزايد الاهتمام بالقارة، كما قدمت روسيا دعماً عسكرياً وأمنياً مباشراً لحلفائها عبر قوات فاغنر منذ عام 2017، في دول إفريقيا الوسطى وموزمبيق وليبيا والسودان ومالي وبوركينا فاسو، ومؤخراً في السودان. (36)

وفي هذا السياق تشهد علاقات روسيا الدفاعية مع دول غرب إفريقيا نمواً سريعاً ومستمراً، فالشركات الروسية بشقيها، الأمني والاقتصادي، تعمل في أنغولا بجنوب شرق القارة الإفريقية لاستغلال النفط والمعادن الثمينة (الألماس والذهب). وفي العام 2017-2018، وقَّعت روسيا اتفاقيات تعاون مع أكثر من (تسع عشر دولة) إفريقية جُلها في غرب إفريقيا، منها على سبيل المثال لا الحصر (نيجيريا، وأنغولا، وغينيا الاستوائية، وبوركينا فاسو، والسودان)، كما وقَّعت اتفاقات مع موزمبيق، وبالتالي استطاعت أن تمد نفوذها وهيمنتها بقوة لوسط وغرب القارة الإفريقية، (إفريقيا الوسطى ونيجيريا وتشاد)، وينشط الدور الروسي في إفريقيا الوسطى في دعم الحكومة ضد الجماعات المتمردة؛ حيث تشارك بقوات خاصة من الشركات الأمنية في عمليات تأمين وحراسة المؤسسات الحكومية ومناطق الموارد الاقتصادية المهمة والحيوية. أما في المغرب العربي، فإن روسيا تستخدم المرتزقة والشركات ذات الخلفية الاستخباراتية والأمنية في ليبيا للقيام بأدوار سياسية وعسكرية وأمنية (شركة فاغنر الروسية) التي تعمل في استغلال الثروات المعدنية، وتشارك في العمليات القتالية وتقديم الدعم لبعض القوى والتيارات السياسية التي تتقاتل في ليبيا، ولا يغيب عن البال أن روسيا تريد من ذلك أن تكون قريبة من نفط ليبيا، ومناطق التعدين الأخرى في إفريقيا الوسطى وشمال غرب إفريقيا (النيجر، وموريتانيا، والجزائر)، وقريبة من النفوذ الفرنسي في غرب إفريقيا لتجميعه وتحبيده وإضعافه حتى لا يجد المجال ليتدبر شرقاً تجاه السودان وليبيا. أضف إلى ذلك أن النفوذ الروسي في منطقة غرب إفريقيا له مآرب عقائدية وأيديولوجية فهو يدعم ويساند الحركات المناوئة للتيارات الإسلامية والعربية في المنطقة. (37)

وقد تنامي الوجود الروسي في العديد من المناطق الأفريقية المؤثرة من خلال تزايد مبيعات السلاح الروسي للدول الأفريقية، وهو ما جعل العديد من الأنظمة الحاكمة في إفريقيا تزيد من اعتمادها على السلاح الروسي، حيث لا تعتمد روسيا في المقابل على مفاهيم الديمقراطية والحكم الرشيد، فقد مثلت حجم صادرات روسيا من السلاح لأفريقيا خلال الفترة من 2016 – 2020 حوالي 18 % من إجمالي صادرات روسيا من الأسلحة وفقاً لتقارير معهد ستوكهولم لأبحاث السلام، وكذلك من خلال تعاظم دور التدريب الروسي للعديد من قوات الجيش في العديد من الدول الأفريقية وتزايد أنشطة شركة فاجنر الروسية من أجل حماية العديد من الأنظمة في الدول الأفريقية. (38)

حيث اعتمدت الاستراتيجية الروسية لتنفيذ أهدافها في إفريقيا على الشركات العسكرية الخاصة ولا سيما "شركة فاجنر" بدلاً من الاعتماد على الجيوش الرسمية؛ حيث لم تقم موسكو بأي عمليات انتشار عسكري في إفريقيا خلال نصف قرن، ونفذت أنشطتها العسكرية والأمنية حصرياً بمساعدة المرتزقة. وتشير التقديرات، إلى شركات روسيا العسكرية نفذت على الأقل 34 عملية في 16 دولة أفريقية منذ عام 2005. وخلال السنوات الأخيرة؛ لعبت "مجموعة فاغنر" الدور الرئيسي في تلك العمليات، حيث بدأت منذ عام 2017 بالعمل كمستشارين في عدد من الدول الأفريقية، ثم تطورت المهام لتقديم خدمات حراسة للرؤساء والمسؤولين بجانب التدريب وتقديم المشورة والمساعدة لقوات الأمن المحلية، وحتى المشاركة مباشرة في القتال، وتعتمد قوات مجموعة فاغنر على التمويل الذاتي المرتبط بمموليها الخاصين والعقود الاقتصادية التي تجرّبها في الدول المعنية، ولا تكلف الإدارة الروسية أي أعباء مالية. (39)

3 - النفوذ الاقتصادي :

ظلّ حجم الحضور الاقتصادي الروسي في إفريقيا متواضعاً مقارنة بالدول الأخرى حتى بلغ ذروته عام 2018 وتجاوز 20 مليار دولارٍ بقليل. في الوقت ذاته قامت روسيا بإلغاء 20 مليار دولار من الديون المستحقة على عدد من الدول الأفريقية تشجيعاً لدخول مرحلة جديدة تتحقق فيها المصالح المشتركة فخططت لمشروعات كبيرة في مصر وأقامت شركة استراتيجية وتعاون في مجال الطاقة مع الجزائر، وكذلك توقيع اتفاقية القرن التي تستورد بموجبها فوسفات من المغرب منذ 2016، أما جنوب إفريقيا فتعتبر من شركاء روسيا الاستراتيجية؛ حيث تعمل على استخراج اليورانيوم وتوليد الطاقة هناك. أما إفريقيا جنوب الصحراء فقد ركزت روسيا على مجالات الاستثمار في المعادن ليبلغ حجم التبادل التجاري 3 مليارات دولار ومتوقع أن يصل إلى تريليون دولار 2050. (40)

أما في نطاق النفط فقد لعبت كل من موزمبيق وزامبيا والغابون وغينيا دوراً كبيراً في مضمار التعاون الروسي الأفريقي؛ حيث تعمل شركتنا "أكسون موبيل" وشركة "أرين إكسبلوريشن" اللتان تتبعان "روس نفط" في إنتاج الغاز في شمال موزمبيق وتقدر حجم الاحتياطات بنحو 2.2 تريليون متر مكعب. أما في زامبيا فتعمل مؤسسة "روس أتوم" الروسية في إنشاء مركز للطاقة الذرية والعلوم والتكنولوجيا، أما الغابون فقد وقّعت شركة "روس نفط" مذكرة مع وزارة النفط لاستثمار مشترك في حقول النفط وبناء البنية التحتية للنفط والغاز. أما غينيا فتستثمر شركة "روسال الروسية" في إنتاج الألومنيوم بمبلغ يصل إلى 300 مليون دولار. وتمتلك شركة "رينوفا الروسية" استثمارات في مجال المعادن في كل من جنوب إفريقيا والغابون وموزمبيق بأكثر من مليار دولار. كما تستثمر شركة "غازبروم" في مشروعات للغاز وبناء الأنابيب والبنية التحتية بمبلغ 500 مليون دولار في مختلف الدول الأفريقية، وتملك شركة "لوك أويل" استثمارات تبلغ مليار دولار في إنتاج النفط في غرب إفريقيا (41).

كما بدأت الشركات الروسية في الاستثمار بنشاط في الرواسب المعدنية: (غينيا، وجمهورية إفريقيا الوسطى)، والمصانع المعدنية (نيجيريا)، ومحطات الطاقة الكهرومائية (أنغولا)، وخطوط أنابيب النفط (الجزائر)، ومحطات الطاقة الكهروذرية (مصر)، وغيرها من المشاريع ذات الاهتمام المشترك. (42)

المطلب الثاني : مستقبل النفوذ الروسي في القارة الإفريقية :

هناك سيناريوهات متباينة ترسم ملامح الاستراتيجية الروسية في القارة الإفريقية . وهذه المشاهد كالآتي :
أولاً: زيادة وتطور الدور الروسي في إفريقيا:

يفترض هذا المشهد أنّ المستقبل السياسي والاقتصادي والعسكري لعلاقات روسيا بإفريقيا سيشهد تطورات إيجابية مهمة . وبالتالي سوف يزداد النفوذ الروسي في القارة الإفريقية. ويدعم هذا المشهد ما يأتي :

- 1 - توجه قادة الدول الإفريقية نحو عقد شراكات استراتيجية مع كافة القوى الصاعدة مثل الصين وروسيا حيث يوجد تقارب كبير بين روسيا مع العديد من الأنظمة الحاكمة في الدول الإفريقية ولعل تزايد موجة الانقلابات العسكرية في الآونة الأخيرة في القارة الإفريقية تعكس هذا التقارب من ناحية، كما أنّ لشخصية الرئيس الروسي جاذبية على النطاق الشعبي الأفريقي خاصة بعد استطاعته استعادة القوة الروسية والوقوف في وجه الغطرسة الأوروبية والأمريكية ويعود بروسيا مرة أخرى لتشكيل نظام عالمي جديد متعدد الاقطاب. (43)
- 2 - الوجود العسكري الروسي في إفريقيا عبر الشركات الأمنية الخاصة ولا سيما " فاجنر " ، واتفاقيات تعاون "عسكري- تقني"، مع العديد من الدول الإفريقية يفتح الباب أمام زيادة صادرات الأسلحة، وإنشاء قواعد عسكرية في المستقبل القريب، وربما تجنيد مقاتلين يدينون لها بالولاء، ليكونوا وسيلة لتحقيق أهدافها داخل إفريقيا وخارجها، من خلال ما يشاع عن نيتها تأسيس "الفيلق الإفريقي". (44)
- 3 - الرهان الإفريقي على الجانب الروسي، في مواجهة أزمة نقص الحبوب والغذاء، بتقديم تسهيلات للدول الأقل نمواً، وهو ما تعهد به الرئيس بوتين في ختام القمة، بتقديم الحبوب مجاناً لعدد من دول إفريقيا لتلبية احتياجاتها من الغذاء، وهي فرصة لتوسيع قاعدة التعاون في مجالات أخرى. (45)

ثانياً: سيناريو بقاء الوضع على وضعه الراهن:

يفترض هذا المشهد بأن العلاقات الروسية - الإفريقية ستبقى كما هي دون تسجيل تغيرات كبيرة، بحيث يبقى هناك سعي روسي لتطوير العلاقات الروسية - الإفريقية وتبقى معها الضغوط الأطلسية عبر العقوبات لمنع تطوير أي علاقة بين روسيا وإفريقيا تخوفاً من ازدياد نفوذ موسكو في حلبة الصراع على إفريقيا. (46)

ويدعم هذا المشهد ما يأتي :

1 - رغم جهود روسيا لتعزيز وجودها وتوطيد علاقاتها في إفريقيا إلا أنه لا يزال أمامها الكثير لتلحق بمنافسيها

الدوليين هناك، فما تقدمه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي من مساعدات واستثمارات للدول الإفريقية تفوق ما تقدمه روسيا. فضلاً عن ذلك، فإنّ الولايات المتحدة الأمريكية ستعمل على دفع النفوذ الصيني بعيداً عن إفريقيا، وبالتالي ستكون روسيا في مهبّ الريح حيث إنّ وجودها مرهونٌ بالوجود الصيني في المنطقة. (47)

2 - تحدي البعد الجغرافي وهو أمر أشارت إليه، المتحدثه باسم الخارجية الروسية مارينا زاخاروفا، حينما أشارت إلى أن العامل الجغرافي من التحديات التي تعوق الشراكة الروسية الإفريقية على عكس قرب العامل الجغرافي بين إفريقيا وغالبية الدول الأوروبية، وربما يفسر هذا حالة البطء التي تنتاب تنفيذ بعض من المشروعات الروسية المتفق عليها مع بعض الدول الإفريقية. (48)

ثالثاً: سيناريو تراجع الدور الروسي في إفريقيا:

يفترض هذا المشهد فقدان روسيا للدور القوي لها في القارة، وتراجع علاقتها مع الدول الحليفة لها، نتيجة زيادة الاضطرابات وحالات عدم الاستقرار السياسي التي تشهدها بعض الدول في إفريقيا، مثلما حدث في ثورات الربيع العربي وفقدت روسيا حليفها ليبيا نتيجة المواقفة على قرار مجلس الأمن 1973، مما سمح لتدخل الدول الغربية وعلني رأسها أمريكا بريطانيا فرنسا علي حساب مصالحها. (49)

ويدعم هذا المشهد ما يأتي :

1 - انعكست مجريات الحرب الروسية الأوكرانية على الدور الروسي في إفريقيا على عدة مستويات، على رأسها تراجع القدرة على تقديم صادرات السلاح بسبب العقوبات المفروضة على الصناعات الدفاعية الروسية، التي انخفضت صادراتها بنسبة تتجاوز 30% بين الفترتين 2013-2017 و2018-2022. وقد ينتج عن استخدام روسيا لأسلحة إيرانية في الحرب تشكك قادة أفارقة مستقبل الاعتماد على الأسلحة الروسية وقد يلجؤون إلى البحث عن بدائل أخرى. (50)

2 - على الرغم من كل هذه النجاحات الروسية في إفريقيا، لكنها تظل نجاحات "تكتيكية" لا "إستراتيجية" طويلة الأمد، نظراً لافتقار روسيا لدولة المؤسسات، وارتباط كافة سياساتها الخارجية تخطيطاً وتنفيذاً بشخص الرئيس بوتين، وعدم وجود يقين فيمن سيأتي من بعده، ومدى كفاءته، وحفاظه على هذا النهج وتطويره. (51)

3 - في محاولة من الولايات المتحدة الأمريكية لوقف التحركات الروسية لبناء شراكات اقتصادية نفطية في إفريقيا، أصدر مجلس النواب الأمريكي عام 2022 مشروعاً يفرض عقوبات ضدّ النشاط الروسي، وكذلك عقوبات على الدول الأفريقية المتعانة معها فضلاً عن عقوبات على البنوك الروسية الرسمية وشبه الرسمية والمستثمرين الأفارقة الذين يتعاملون معها (52)

الخاتمة :

في سياق إعادة تشكيل النظام الدولي عقب الحرب في أوكرانيا، وفي ظل الضغوط والعقوبات الغربية تجاه روسيا، عززت موسكو من تنفيذ رؤية جديدة للانفتاح نحو القارة الإفريقية، بغية تحقيق جملة من الأهداف حيث تأمل روسيا بأن تكون إفريقيا، وسيلة لتجنبّ العقوبات الغربية، وتصدير منتجاتها، والتحكم في أسواق الطاقة العالمية من نפט وغاز ويورانيوم خام، وكذلك الثروات التعدينية والمعدنية، لتصبح من خلال ما تمتلكه من ثروات باطنية لا متناهية، وما تسيطر عليه عبر شركاتها في مناطق نفوذها داخل إفريقيا، مركز القوة العالمي للطاقة والثروات الطبيعية، وهو ما يمكنها بجانب قوتها العسكرية، وإرثها التاريخي، من تحقيق توازن مع منافسها الأكثر قوة منها، مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والصين، وامتلاك أدوات ضغط قادرة على تحقيق مصالحها، وقد تناول هذا البحث محددات وأهداف الاستراتيجية الروسية في القارة الإفريقية، بالإضافة إلى تقديم رؤية لملاح هذه الاستراتيجية مستقبلاً.

نتائج البحث :

1. تعدّ نظرية الأوراسية الجديدة التي وضعها الفيلسوف الروسي "الكسندر دوغين" والتي تنادي باستعادة روسيا دورها في محيطها الاقليمي ومن ثم التوجه إلى مناطق اخرى ومنها إفريقيا لاستعادة مكانتها الدولية، بالإضافة إلى أهمية القارة الإفريقيّة في الاستراتيجية الروسية للتنمية المحددات الأساسية للاستراتيجية الروسية اتجاه إفريقيا.
2. تسعى روسيا إلى تحقيق جملة من الأهداف في القارة الإفريقيّة أهمها من الناحية السياسية تحقيق مصالحها الاستراتيجية المتمثلة في بناء اعلام متعدد الأقطاب وكسب الصوت الإفريقي في المؤسسات الدولية، والضغط على القوى الغربية في سياق الحرب الروسية - الأوكرانية، أما من الناحية الاقتصادية يعتبر الحصول على المواد الخام والموارد الطبيعية أحد الأهداف الرئيسية للاستراتيجية الروسية تجاه إفريقيا ، ومن الناحية العسكرية فأهم هدف لاستراتيجية الروسية هو امتلاك قواعد عسكرية دائمة في إفريقيا.
3. هناك عدة سناريوهات محتملة حول مستقبل الدور الروسي والاستراتيجية الروسية في القارة الإفريقيّة، ولكل من هذه المشاهد عوامله الداعمة، ونحن نميل إلى المشهد الذي يتوقع زيادة ونمو الدور الروسي في القارة الإفريقيّة.

التوصيات :

1. يتعيّن على روسيا ودول القارة الإفريقيّة التعاون فيما بينهم من أجل تحقيق مصالحهما المشتركة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، لا سيما في ظل وجود دوافع ومقارباتٍ تدفع كلّ طرفٍ منهما للتعاون مع الطرف الآخر.
2. إفريقيا قارةٌ متعدّدة الثروات ومكانٌ خصبٌ للمشروعات التجارية النفطية، وتحتاج لخبرات رجال الأعمال الروس وكذلك الخبرات التقنية والبحثية، مما يتوجب على الطرفين التقارب لزيادة نمو التعاون الاقتصادي بينهما خلال الآونة القادمة لتحرر من الهيمنة الأمريكية.

الهوامش

- 1- هشام عبد الرسول ، أثر الصعود الصيني على مستقبل الهيمنة الأمريكية في إفريقيا ، برلين ، المركز الديمقراطي العربي ، 2021، ص12.
- 2- علاء عامر، هل تكون إفريقيا "شرق أوسط" جديد؟ ، مجلة السياسة الدولية الالكترونية ، 7/12/2021، على الرابط:
<https://www.siyassa.org.eg/News>
- 3- جيهان عبد السلام، "العلاقات الاقتصادية الصينية الإفريقية: دراسة تحليلية"، مجلة السياسة والاقتصاد، العدد 7، أبريل 2020، ص 73.
- 4- حسني عبد الغني، التجارب السياسية في إفريقيا ، القاهرة، الدار المصرية الحديثة للطباعة والنشر، طبعة الأولى، 2018، ص 14.
- 5- أحمد دياب ، تحديات تطوير علاقات روسيا وإفريقيا بعد قمة سان بطرسبرغ ، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، 2023، ص
- 6- محمد رشوان ، إفريقيا والنظام الدولي بين الأحادية القطبية والقوى الدولية المتنافسة ، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية ، 2023، ص3
- 7- المرجع نفسه ، ص4.
- 8- علاء عامر، هل تكون إفريقيا شرق أوسط جديد؟، مرجع سابق.
- 9- إبراهيم كرسني ، التوجه نحو إفريقيا الفرص والتحديات ، دبي ، مركز دبي لبحوث السياسات العامة ، 2021، ص1.
- 10- محمد عبد الغني سعودي، الاقتصاد الأفريقي والتجارة الدولية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 2008 ، ص 52
- 11- شروق مستور، "إعادة النظر إلى إفريقيا فرصة وليست تهديدا"، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، العدد7، أغسطس 2022، ص12.
- 12- محمد رشوان ، إفريقيا والنظام الدولي بين الأحادية القطبية والقوى الدولية المتنافسة ، مرجع سابق، ص3.
- 13- تاج السر عبد الله محمد عمر ، التنافس الدولي في إفريقيا: طبيعة وأبعاد النفوذ الروسي ، الدوحة ، مركز الجزيرة للدراسات ، 2021، ص3.
- 14- أحمد دهشان ، النفوذ الروسي في إفريقيا: الدوافع والاستراتيجية والأدوات ، مركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية ، 2024 ، ص3.
- 15- شيماء محي الدين ، تحولات الاستراتيجية الروسية في إفريقيا: من الراجح؟ ، مرجع سابق، ص8.
- 16- أحمد دهشان ، النفوذ الروسي في إفريقيا: الدوافع والاستراتيجية والأدوات ، مرجع سابق ، ص3
- 17- المرجع نفسه ، ص4.
- 18- تاج السر عبد الله محمد عمر ، التنافس الدولي في إفريقيا: طبيعة وأبعاد النفوذ الروسي ، مرجع سابق ، ص5.
- 19- شيماء محي الدين ، تحولات الاستراتيجية الروسية في إفريقيا: من الراجح؟ ، مرجع سابق ، ص9.
- 20- أحمد دياب ، تحديات تطوير علاقات روسيا وإفريقيا بعد قمة سان بطرسبرغ ، مرجع سابق ، ص4.
- 21- شيماء خطاب ، دور الطاقة في توجيه سياسات روسيا داخل إفريقيا ، مركز فاروس للاستشارات والدراسات ، القاهرة ، 2024 ، ص3.
- 22- أحمد دهشان ، النفوذ الروسي في إفريقيا: الدوافع والاستراتيجية والأدوات ، مرجع سابق ، ص14.
- 23- مركز أسباب ، روسيا في إفريقيا: نفوذ متصاعد لكن أسسه مازالت غير مستقرة، مجلة مألآت ، العدد40، 30/7/2023، ص3.
- 24- أحمد بيومي ، مكانة إفريقيا في السياسة الروسية ، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية ، 2023، ص6.
- 25- أحمد دياب ، تحديات تطوير علاقات روسيا وإفريقيا بعد قمة سان بطرسبرغ ، مرجع سابق ، ص9.
- 26- SIPRI Military Expenditure Database - Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI the military spending of countries for the period 1949–2022. <https://www.sipri.org/databases>
- 27- شيماء محي الدين ، تحولات الاستراتيجية الروسية في إفريقيا: من الراجح؟ ، مرجع سابق، ص11.
- 28- قدور عبد القادر، مبادئ سياسة روسيا تجاه أمن الطاقة بين الدخل الاقتصادي والتأثير السياسي، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد الخامس، العدد الأول، 2018، ص11.
- 29- محمد حمشي، "قمة روسيا إفريقيا: ما الذي تعنيه لروسيا؟ وما الذي تعنيه لإفريقيا؟"، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نوفمبر 2019، ص2.
- 30- شيماء محي الدين ، تحولات الاستراتيجية الروسية في إفريقيا: من الراجح؟ ، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية ، 2021، ص5.
- 31- المرجع نفسه ، ص6.
- 32- مركز أسباب ، روسيا في إفريقيا: نفوذ متصاعد لكن أسسه مازالت غير مستقرة، مرجع سابق ، ص7.
- 33- شيماء محي الدين ، تحولات الاستراتيجية الروسية في إفريقيا: من الراجح؟ ، مرجع سابق ن ص9.
- 34- تاج السر عبد الله محمد عمر ، التنافس الدولي في إفريقيا: طبيعة وأبعاد النفوذ الروسي ، مرجع سابق ، ص6.
- 35- أولغا كولكوفا، الطريق إلى القمة الروسية الإفريقية الثانية: الخلفية الدولية، مجلس الشؤون الدولية الروسي، 2023، على الرابط:
<https://russiancouncil.ru/papers/Russia-Africa>
- 36- مركز أسباب ، روسيا في إفريقيا: نفوذ متصاعد لكن أسسه مازالت غير مستقرة، مرجع سابق، ص7.

- 37- تاج السر عبد الله محمد عمر ، التنافس الدولي في إفريقيا: طبيعة وأبعاد النفوذ الروسي ، مرجع سابق ، ص 8.
- 38- محمد رشوان ، إفريقيا والنظام الدولي بين الأحادية القطبية والقوى الدولية المتنافسة ، مرجع سابق ، ص 9.
- 39- مركز اسباب ، روسيا في إفريقيا: نفوذ متصاعد لكن أسسه مازالت غير مستقرة، مرجع سابق ، ص 8.
- 40- محمد صالح عمر: التوسع في السوق الأفريقية هكذا تخطط روسيا لمواجهة العقوبات وهيمنة الدولار، 14/2/2023 ، على الرابط : <https://www.ajnet.me/ebusiness/20>
- 41- المرجع نفسه.
- 42- فلاديسلاف يوريفيتش سوركوف ، تأميم مستقبل روسيا ، اللجنة الدائمة لدولة الاتحاد، 27 تشرين الثاني/ نوفمبر 2006، على الرابط: <https://xn--c1anggbpdf.xn--p1ai/news/variou>
- 43- محمد رشوان ، إفريقيا والنظام الدولي بين الأحادية القطبية والقوى الدولية المتنافسة ، مرجع سابق ، ص 12.
- 44- أحمد دهشان ، النفوذ الروسي في إفريقيا: الدوافع والاستراتيجية والأدوات ، مرجع سابق ، ص 19.
- 45- أحمد امبابي ، روسيا وإفريقيا.. الرهان المتبادل ، 30/7/2023، على الرابط: <https://www.siyassa.org.eg/News>
- 46- علاء عامر ، هل تكون إفريقيا "شرق أوسط" جديد؟ ، مرجع سابق.
- 47- تاج السر عبد الله محمد عمر ، التنافس الدولي في إفريقيا: طبيعة وأبعاد النفوذ الروسي ، مرجع سابق ، ص 14.
- 48- أحمد امبابي ، روسيا وإفريقيا.. الرهان المتبادل ، مرجع سابق.
- 49- حسني عماد حسني العوضي ، روسيا وإعادة اكتشاف إفريقيا من جديد: سيناريوهات التعاون والمصالح والمخاطر ، "، برلين ، المركز الديمقراطي العربي، 2017.
- 50- مركز اسباب ، روسيا في إفريقيا: نفوذ متصاعد لكن أسسه مازالت غير مستقرة، مرجع سابق ، ص 8.
- 51- أحمد دهشان ، النفوذ الروسي في إفريقيا: الدوافع والاستراتيجية والأدوات ، مرجع سابق ، ص 20.
- 52- محمد صالح عمر: التوسع في السوق الأفريقية، مرجع سابق .

المصادر

أولاً : الكتب :

1. حسني عبد الغني، التجارب السياسية في إفريقيا ، القاهرة، الدار المصرية الحديثة للطباعة والنشر، طبعة الأولى، 2018.
2. محمد عبدالغني سعودي، الاقتصاد الأفريقي والتجارة الدولية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .. 2008.

ثانياً : المجالات والدوريات :

1. ابراهيم كرسي ، التوجه نحو إفريقيا الفرص والتحديات ، دبي ، مركز دبي لبحوث السياسات العامة ، 2021.
2. أحمد بيومي ، مكانة إفريقيا في السياسة الروسية ، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية ، 2023.
3. أحمد دهشان ، النفوذ الروسي في إفريقيا: الدوافع والاستراتيجية والأدوات ، مركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية ، 2024.
4. أحمد دياب ، تحديات تطوير علاقات روسيا وإفريقيا بعد قمة سان بطرسبرغ ، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ، 2023.
5. تاج السر عبد الله محمد عمر ، التنافس الدولي في إفريقيا: طبيعة وأبعاد النفوذ الروسي ، الدوحة ، مركز الجزيرة للدراسات ، 2021.

ثالثاً : الأبحاث والرسائل العلمية :

1. جيهان عبد السلام، " العلاقات الاقتصادية الصينية الإفريقية: دراسة تحليلية"، مجلة السياسة والاقتصاد، العدد 7، أبريل 2020.
2. حسني عماد حسني العوضي ، روسيا وإعادة اكتشاف إفريقيا من جديد: سيناريوهات التعاون والمصالح والمخاطر ، "، برلين ، المركز الديمقراطي العربي، 2017.
3. شروق مستور، " إعادة النظر إلى إفريقيا فرصة وليست تهديداً"، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، العدد 7، أغسطس 2022.
4. شيماء خطاب ، دور الطاقة في توجيه سياسات روسيا داخل إفريقيا ، مركز فاروس للاستشارات والدراسات ، القاهرة ، 2024.
5. شيماء معي الدين ، تحولات الاستراتيجية الروسية في إفريقيا: من الراجح؟ ، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية ، 2021.
6. قدور عبد القادر، مبادئ سياسة روسيا تجاه أمن الطاقة بين الدخل الاقتصادي والتأثير السياسي، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد الخامس، العدد الأول، 2018.
7. محمد حمشي، " قمة روسيا إفريقيا: ما الذي تعنيه لروسيا؟ وما الذي تعنيه لإفريقيا؟"، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نوفمبر 2019.
8. محمد رشوان ، إفريقيا والنظام الدولي بين الأحادية القطبية والقوى الدولية المتنافسة ، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية ، 2023.

9. مركز أسباب ، روسيا في إفريقيا: نفوذ متصاعد لكن أسسه مازالت غير مستقرة، مجلة مألآت ، العدد40، 30/7/2023.
10. هشام عبد الرسول ، أثر الصعود الصيني على مستقبل الهيمنة الأمريكية في إفريقيا ، برلين ، المركز الديمقراطي العربي ، 2021.

رابعاً: المراجع الإلكترونية :

1. أحمد امبابي ، روسيا و إفريقيا.. الرهان المتبادل ، 30/7/2023، على الرابط: <https://www.siyassa.org.eg/News>
2. أولغا كولكوف، الطريق إلى القمة الروسية الإفريقية الثانية: الخلفية الدولية، مجلس الشؤون الدولية الروسي، 2023، على الرابط: <https://russian-council.ru/papers/Russia-Africa>
3. علاء عامر، هل تكون إفريقيا "شرق أوسط" جديد؟ ، مجلة السياسة الدولية الإلكترونية ، 7/12/2021، على الرابط: <https://www.siyassa.org.eg/News>
4. فلاديسلاف يوريفيتش سوركوف ، تأميم مستقبل روسيا ، اللجنة الدائمة لدولة الاتحاد، 27 تشرين الثاني/ نوفمبر 2006، على الرابط: <https://xn--c1anggbpdf.xn--p1ai/news/variou>
5. محمد صالح عمر، التوسع في السوق الأفريقية هكذا تخطط روسيا لمواجهة العقوبات وهيمنة الدولار، 14/2/2023، على الرابط: <https://www.ajnet.me/ebusiness/20>